المكانز في اللّغة العربيّة بين القديم والحديث

أ.فاطمة بن شعشوع
جامعة تلمسان

تقديم: يعدّ مصطلح "مكنز" من المصطلحات الشّائعة المتداولة في حقل القاموسيّة الحديثة أو ما يسمّى بالصّناعة المعجميّة ، وقد جاءت هذه الورقة لتبحث في هذا المصطلح من حيث نشأته وتواجده في التّراث المعجميّ العربيّ القديم سواء أكان مفهوما لغويّا أم مصطلحا متداولا أم عملا مؤلّفا ، كما جاءت كذلك لتنقّب عن المكانز العربيّة الحديثة بحقّ.

المكنز: لغة واصطلاحا :لغة: لا يوجد لفظ "مكنز" في أضخم المعاجم العربيّة وأشهرها مثل العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175ه)،[1] وتاج اللّغة وصحاح العربيّة لإسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت393ه)[2] ، ولسان العرب لجمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن منظور (ت711ه)[3]، والقاموس المحيط لمجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزابادي (ت817ه)[4] ، فقد خلت هذه المعاجم كلّها من هذا اللّفظ.

وقد يبرّر هذا الفعل بحجّة مفادها أنّه: يستحيل على أيّ معجم مهما كان حجمه أن يضمّ مفردات اللّغة جميعها ، فأحمد مختار عمر يصرّح في كتابه صناعة المعجم الحديث قائلا: "ومن الممكن أن تحقّق المعاجم الخاصّة صفة الشّمول أو التّغطية الكاملة للمفردات ، ولكنّ من العسير إن لم يكن من المستحيل أن تحقّق المعاجم العامّة ذلك... ،ولا يمكن تحقيق صفة الشّمول في المعاجم العامّة إلّا حين تتعامل مع إحدى اللّغات الميّتة"[5].

لكنّ أصحاب المعاجم الّتي ذكرتها آنفا عقدوا جذر المكنز وهو (ك ن ز) ولم يسقطوه من مؤلّفاتهم ، وأهملوا أحد مشتقّاته: المكنز ولا أدري لماذا ؟.

وقد واصلت البحث في بعض المعاجم العربيّة القديمة الأخرى عن هذا اللّفظ حتّى وقعت عيني على تعريف للمكنز في معجم تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد مرتضى الحسيني الزّبيدي (ت1205ه) وهو كالتّالي: "...وله مكنز ومكانز: هو الّذي يكنز فيه"[6] ، والملاحظ هنا أنّ مرتضى الزّبيدي يقول: مكْنِز بكسر النّون وليس مكْنَز بفتح النّون كما هو متعارف عليه في العصر الحديث ، والحقيقة أنّ لفظ مكنز هو اسم مكان مشتقّ من الفعل الثّلاثي الصّحيح كَنَزَ ويأتي مضارعه مكسور العين فنقول يَكْنِز وبذلك نشتقّ اسم المكان من الفعل كَنَز على وزن مَفْعَل أيّ مَكْنَز وقد يأتي كذلك مضارعه مضموم العين فنقول يكْنُزُ فنشتق اسم المكان منه على وزن مَفْعِل أي مَكْنِز[7].

وخلاصة القول بشأن هذا الأمر أنّ كلاّ من الصّيغتين جائزتان فنقول: كَنَزَ - يَكْنُزُ ← مَكْنَز ومَكْنِز، ولعلّ مصطلح مَكْنَز (بفتح النّون) هو المصطلح الأكثر شيوعا في العصر الحديث.

وكما قلّ الوقوف على لفظ: "مكنز" من قبل المعاجم العربيّة المشهورة والضّخمة، كذلك قلّ تواجده في المعاجم العربيّة الحديثة المشهورة فلا نجده في معاجم نحو: المعجم الوسيط،[8] والمعجم العربيّ الأساسي[9]، والرّائد[10]، ومعجم اللّغة العربيّة المعاصرة[11]، والمكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادّات[12] الّذي جاء بعنوان اللّفظ نفسه ولا أدري لماذا؟

ولعلّ من بين التّعاريف اللّغويّة القليلة والحديثة للفظ "مَكْنَز" هو ما جاء في قاموس المعاني على الشّبكة العنكبوتيّة، حيث يعرّف هذا الأخير المكنز قائلا: "مَكْنَز: اسم الجمع: مكانز، الموضع الّذي يُكْنَزُ فيه الشيء"[13].

اصطلاحا: مصطلح "مكنز" هو مصطلح حديث الظّهور، فهو ترجمة للمصطلح الأجنبيّ Thesaurus باللّغة الإنجليزية أو Trésor باللّغة الفرنسيّة، ولعلّ هذه التّرجمة ظهرت بعد ظهور Roget thesaurus of English words and phases لمؤلّفه روجيه(Roget) في العصر الحديث.

يعرّف قاموس المعاني الموجد على الشّبكة العنكبوتيّة المكنز اصطلاحا قائلا: "مَكْنَز لغويّ: جهاز آليّ تُخْزَنُ فيه النّصوص والمفردات"[14]. أمّا معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب فقد ترجم مصطلح Thesaurus بالمصطلحين العربيّين: الكنز والمخزن، وعرّفه قائلا: "اسم يطلق أحيانا على المراجع الجامعة والموسوعيّة الّتي تشتمل على مفردات لغة من اللّغات أو نصوص أدب من الآداب بشكل جامع شامل"[15].

ولعلّ التّعريف الأكثر شمولا لمصطلح "مكنز" هو ما جاء في موسوعة كامبردج اللّغويّة والّتي تعرّفه كالتّالي: "معجم يعرض الكلمات بطريقة منظّمة عن طريق تقسيمها إلى مجموعات حسب معانيها، وداخل كل مجال تأتي الكلمات ذات الصّلة بحيث يشرح بعضها بعضا"[16]، وهذا ما فعله مكنز روجيه الإنجليزي المصنّف كأوّل مكنز غربيّ، حيث قسّم كتابه إلى قسمين النّصّ والكشّاف، أمّا النّص فيقسّم بدوره إلى ستّة أبواب (مجالات) وهي: العلاقات المجرّدة، والمكان، والمادّة، والفكر، والإرادة والعواطف، أمّا الكشّاف فيرتّب الكلمات الّتي يتوقّع من الكاتب استخدامها ترتيبا أبجديا[17].

2.المكانز العربيّة القديمة: وضع كلّ من الصّينيين والهنود والعرب بصمتهم في الصّناعة المعجميّة القديمة، فنجد العرب مثلا يبدعون في تصنيف كمّ هائل من المعاجم التّراثية الّتي حفظت لنا ألفاظا عربيّة كثيرة جدّا، وقد قسّم أغلب اللّغويّين والمعجميّين المحدثين، إن لم نقل كلّهم المعاجم إلى نوعين اثنين لا ثالث لهما، لفظيّة وتنقسم بدورها إلى أنواع ومعنوية

وهذا ما عبّر عنه أحمد مختار عمر في مخطّطه المشهور الّذي يلخّص أنواع المعاجم العربيّة القديمة كما يلي [18] :

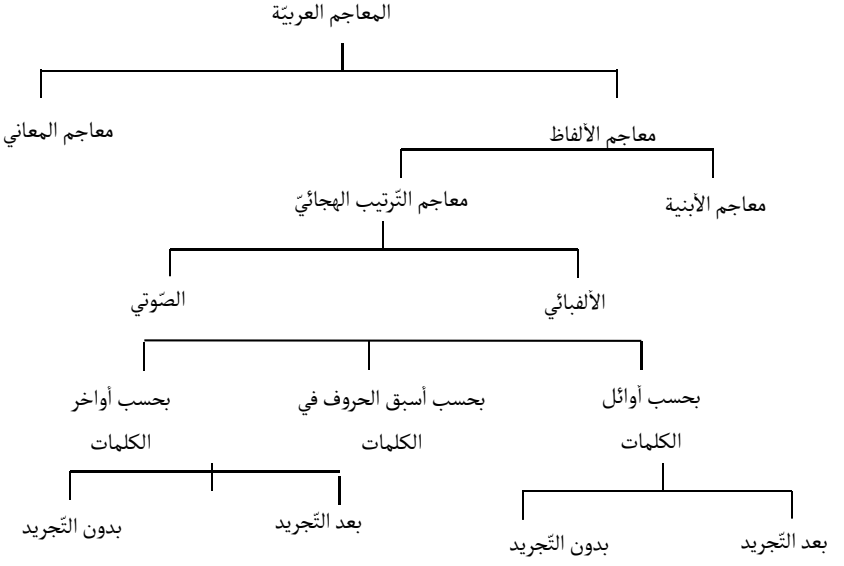

الشّكل 01: معاجم الألفاظ وطرق ترتيبها

إذن: فقد انقسمت المعاجم العربيّة القديمة حسب اللّغويّين المحدثين إلى: لفظيّة ومعنويّة ، وفي هذا الكلام نظر حسب رأيي الخاصّ ، لكنّ قبل أن أثبت ذلك يجب أوّلا ضبط الفرق بين كلّ من معجم المعاني والمكنز والمتمثّل في أنّ المكنز لا يقف عند الكلمات المترادفة أو القريبة المعنى فيما بينها ويشرحها في كل مجـــال ، ويبيّن الفروق المعنوية (Les nuances) بينهما ، بل يرصّها رصّا على عكس المعاجم المعنويّة العربيّة ، فهي تشرح كلّ المفردات المتواجدة في مجال أو موضوع من موضوعات المعجم حارصة على تبيان الفرق بينها.

ومن يتصفّح بعض المعاجم القديمة الّتي صنّفها المحدثون بأنّها معاجم معان ، يجد أنّها تنطبق عليها صفات المكنز أكثر ممّا تنطبق عليها صفات معاجم المعاني ، ومن بين هذه المعاجم: الألفاظ الكتابيّة لعبد الرّحمن بن عيسى الهمذاني (ت320هـ)، وجواهر الألفاظ لأبي الفرج قدامة بن جعفر (337هـ)، والألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى الرّماني (ت384هـ) حيث نلاحظ أن هؤلاء المؤلّفين لم يقفوا على الفروق والاختلافات في المعنى بين المفردات أو العبارات المبثوثة في مؤلّفاتهم على الإطلاق ، وبذلك فقد أسقطوا شرطا رئيسا ، وجب توفّره

في تصنيف المعاجم المعنويّة ، ووجب عدم توفّره في المكانز وهذا ما فعله كلّ من الهمذاني وقدامة بن جعفر والرّوماني في كتبهم حسب الشّكل رقم 02:

الألفاظ الكتابية: عبد الرحمن الهمذاني	Roget Thesaurus of English words and phases
باب: التّجربة "يقال: جَرَّبْتُ الرّجل ، واخْتَبَرْتُهُ ، وعَجَمْتُهُ ، وعَجَمْتُ عُودَهُ ، ... ، ويقال سَبَرْتُهُ ، وامْتَحَنْتُهُ ، ورُزْتُهُ ، وغَمَزْتُ قَنَاتَهُ ، وحَلَبْتُ أَشْطُرَهُ ، وفَتَّشْتُهُ ، وذُقْتُهُ ، وبَلْوَرْتُه ، ويقال: اسْتَشَفَّهُ ، واسْتَبْرَأَهُ ، حَنَّكَهُ ، واحْتَنَكَهُ..."[19].	Section I, Existence Being in the abstract Existence N. existence, being, entity, ens [lat], esse [lat], subsistence, reality, actuality, positiveness, adj. fact, matter of fact, sober reality, truth...[22]
جواهر الألفاظ (قدامة الجعفري)	
باب: التجربة والاختبار "جَرَّبْتُهُ ، وخَبَرْتُهُ ، واخْتَبَرْتُهُ ، وسَبَرْتُهُ ، وشَمْتُهُ ، وفَلَيْتُهُ ، وفَلَّيْتُهُ ، وتَبَحَّرْتُهُ ، وبُرْتُهُ ، وبَلَوْتُهُ ، ورُزْتُهُ ، وأَشْحَنْتُهُ وذُقْتُهُ ، وشِمْتُهُ ، وشَهِدْتُهُ ، وقُسْتُهُ ، وعَلِمْتُهُ ، وحَجَجْتُهُ ، وعَرَفْتُهُ..."[20].	
الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى (الرّماني)	
فصل: التّجربة والاختبار "ابْتَلَيْتُهُ ، وجَرَّبْتُهُ ، وبَلَوْتُهُ ، واخْتَبَرْتُهُ ، ورُزْتُهُ"[21].	

الشّكل: 02 مقارنة بين مكنزين عربيّين ومكنز روجيه

وكما هو موضّح في الشّكل رقم: 02 ، فإنّ كلاّ من الألفاظ الكتابيّة وجواهر الألفاظ والألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ومكنز روجيه ، قد استعملوا منهجا واحدا في الأبواب الّتي عقدوها في كتبهم ، فأعطوا عنوانا لأبوابهم وتحت كلّ باب من هذه الأبواب رصّوا الكلمات الواحدة تلوى الأخرى دون الوقوف عند المعاني والتّمييز بينها.

وصفوة القول أنّ كلاّ من الألفاظ الكتابيّة ، وجواهر الألفاظ ، والألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى: مؤلّفات قد صنّفت في القرن الرّابع الهجريّ مطبّقة منهجيّة مكنز روجيه المصنّف في القرن التّاسع عشر ميلادي ، وهذا يعني أنّ للعرب السّبق في تصنيف المكانز ، فقد عمدوا على تأليف هذا النّوع من المصنّفات منذ القرون الهجريّة الأولى.

3.المكانز العربيّة الحديثة: لعلّ أوّل كتاب عربيّ ظهر بعنوان: "مكنز" كان في عام 1993م ، وقد كتب على غلافه باللّغة العربيّة: "المكنز العربيّ المعاصر: معجم في المترادفات والمتجانسات" ، وترجمت هذه العبارة في الغلاف نفسه باللّغة الإنجليزيّة على النّحو التّالي: "Modern Arabic thesaurus Arabic-arabic"[23]. ولم يتّبع هذا الأخير منهج مكنز روجيه بحذافيره ، حيث يتحدّث عن منهجه قائلا: "وتسهيلا على الباحث التزمنا التّرتيب اللّفظي

الألفبائي، دون النّظر إلى جذر الكلمة لمزيد من الفائدة خاصّة لطبيعة اللّغة العربيّة الاشتقاقيّة، ونظرا لأن العربيّة لغة اشتقاقيّة وتأتي من الجذر نفسه عدّة ألفاظ، فقد ألحقنا بالمكنز فهرسا للجذور يبيّن الكلمات المشتقّة من كلّ جذر ممّا ورد في المكنز"[24]. وبهذا لم يكن ترتيب المكنز المعاصر بحسب الموضوعات أو المجالات بل كان ترتيبا نطقيّا، مقلّدا بذلك منهج قاموس المترادفات والمتجانسات لعامّة الأدباء ولتلاميذ الصّفوف العليا لرافاييل نخلة الياسوعيّ سنة 1957م. وقد وقع الاختلاف فقط في العنوان، فقد سمّي الأوّل بالمكنز وهو لا يمتّ لمنهجه ولمفهومه الاصطلاحيّ بصلة، بل هو معجم مثله مثل معجم رافاييل نخلة الياسوعي يصبّ في خانة معاجم المترادفات والمتجانسات.

ولعلّ أوّل مكنز عربيّ جاء بمقاييس الصّناعة المكنزيّة- إن صحّ التّعبير- المتعارف عليها هو: نَجْعَة الرّائد وشِرْعَة الوارِد في المترادف والمُتَوارِد لإبراهيم اليازجي اللّبنانيّ(ت1906م) الّذي يصف مكنزه المعنون بهذا الشّكل قائلا: "ولذلك رأيت أن أخدم المشتغلين بهذه الصّناعة وإن كنت أقلّهم بضاعة بأن أجمع لهم من مترادف ألفاظ هذه اللّغة وتراكيبها ما يجعل نادّها منهم على جبل الذّراع...، وقد نسّقت ما جمعته من ذلك في هذا الكتاب ورتّبته على المعاني دون الألفاظ لتسهل إصابة الغرض منه على الطّلّاب..."[25]. ونستشفّ ممّا سبق ذكره أنّ اليازجي قد وضع ألفاظا وتراكيبا مترادفة أو متقاربة المعنى في كتابه، مقسّما إيّاها على شكل مجالات عددها اثنى عشر(12) بابا نحو باب: "في الخلق وذكر أحوال الفطرة وما يتّصل بها، وباب: في وصف الغرائز والملكات وما يأخذ مأخذها ويضاف إليها"[26].أمّا المكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادّات لأحمد مختار عمر (ت2003م)، فهو كما يدلّ عليه اسمه معجم قسّم المترادفات والمتضادّات إلى مجالات، لكنّه في بعض الأحيان يقف عند الفروق اللّغوية لبعض المترادفات المبثوثة في معجمه، وبهذا فهو مزيج بين المكنز ومعجم المعاني وقد صرّح بذلك في مقدّمة الكتاب: "هذا معجم فريد في نوعه، جديد في شكله وإخراجه، حيث جمع لأوّل مرّة في تاريخ المعاجم العربيّة عدّة أشكال من المعاجم في معجم واحد، لقد ضمّ هذا المعجم بين دفّتيه معجما للموضوعات أو المعاني أو المجالات، ومعجما ثانيا للمترادفات والمتضادّات، ومعجما ثالثا لمعاني الكلمات، ومعجما رابعا للألفاظ أو الكلمات"[27].

وممّا سبق ذكره فإنّ المكانز العربيّة الحديثة بحقّ قليلة جدّا - على حدّ علمي- فلا يوجد سوى نجعة الرّائد وشرعة الوارد الّذي تتمثّل فيه كلّ مميّزات المكنز الحقيقي، والمكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادّات الّذي يطبّق منهج المكنز في جزء منه.

الخاتمة: خلص البحث إلى نتائج أهمّها:

1. لم تدرج أغلب المعاجم العربيّة القديمة الوحدة المعجميّة: مَكْنَز أو مَكْنِز في ثناياها إلّا القليل منها، وقد تناولت مفهومها اللّغويّ فقط.

2. لم تتطرّق هذه المعاجم القديمة القليلة إلى مفهوم المكنز اصطلاحا ، لأنّ المكنز مصطلح حديث النّشأة ظهر في اللّغة العربيّة بعد ظهور المكنز الإنجليزيّ: مكنز روجيه(roget thesaures).

3. مثلما لا يوجد لفظ: مكنز في العديد من المعاجم العربيّة القديمة المشهورة ، كذلك لايوجد في معظم المعاجم العربيّة الحديثة المعروفة مثل: المعجم الوسيط ، والمعجم العربي الأساسي ، والرّائد ، ومعجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، والمكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادّات الّذي جاء بعنوان اللّفظ نفسه ولا أدري لماذا ؟.

4. الألفاظ الكتابيّة للهمذاني وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر والألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى لأبي الحسن عليّ بن عيسى الرّماني: مؤلّفات ظهرت في القرن الرّابعة عشر لكنّها تحمل صفات مكنز روجيه الإنجليزي الّذي ظهر في القرن التّاسعة عشر ميلادي أيّ بعدها بقرون عديدة ، وهي ليست معاجم معان كما صنّفها جلّ المحدثين.

5. مكنز روجيه ليس أوّل مكنز ظهر في العالم ، بل الألفاظ الكتابيّة وتبعه كلّ من: جواهر الألفاظ ، والألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ، بالرّغم من أنّهم لم يحملوا: عنوان "مكنز" ، وهذا يعني أنّ للعرب السّبق في تصنيف المكانز ، فقد عمدوا على تأليف هذا النّوع من المصنّفات منذ القرون الهجريّة الأولى.

6. أصبح مصطلح مكنز متداولا في اللّغة العربيّة المعاصرة حيث صنّفت مؤلّفات حملت اسم: مكنز نحو: المكنز العربيّ المعاصر ، معجم في المترادفات والمتجانسات والمكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادّات ، لكنّ البحث وصل إلى أنّ المكنزين الحديثين بحقّ الموجودين إلى حدّ الآن هو: نجعة الرّائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد لإبراهيم اليازجيّ اللّبنانيّ ، والمكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادّات لأحمد مختار عمر الّذي يطبّق منهج المكنز في جزء منه.

الهوامش:

1- العين مرتّب على حروف المعجم-الخليل بن أحمد الفراهيدي-مادّة (ك ن ز) — تح: عبد الحميد هنداوي- لبنان-بيروت- دار الكتب العلميّة-ط.1-2003م- ج:04- ص:50.

2- ينظر: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة — إسماعيل بن حمّاد الجوهري — مادّة(ك ن ز) — تح: أحمد عبد الغفور عطّار — لبنان — بيروت — دار العلم للملايين- ط.04-1990م- ج:03-ص:893.

3- لسان العرب-ابن منظور-مادّة (ك ن ز)-تح: عبد الله علي الكبير-محمد أحمد حسب الله -هاشم محمد الشّذلي — القاهرة —دار المعارف — د,ط-1401ه /1981م-مج:05-ج:44-ص:3938.

4- القاموس المحيط مرتبا ترتيبا ألفبائيّا — مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزابادي- القاهرة — دار الحديث — د.ط-1429ه /2008م- ص:1438.

5- صناعة المعجم الحديث- أحمد مختار عمر — دار الكتب — مصر- ط.01-1998م-ص:40.

6- تاج العروس من جواهر القاموس- محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي — مادّة (ك ن ز)-تح: إبراهيم التّرزي — الكويت — مؤسّسة الكويت للتّقدّم العلميّ — ط.01-1421ه /2000م-ج:33- من ص:304إلى ص:307.

7- ينظر: معجم الأوزان الصّرفيّة — إميل بديع يعقوب — بيروت — عالم الكتب — ط.01-1413ه /1993م- ص:50 ، و51.

8- ينظر: المعجم الوسيط- مجمع اللّغة العربيّة- مادّة(ك ن ز)- مصر — مكتبة الشّروق الدّوليّة — ط.04-1425ه /2004م- ص:830.

9- المعجم العربيّ الأساسي — أحمد مختار عمر وآخرون مادّة (ك ن ز) — تونس — المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم — لاروس — ط.01-1989م - ص:1056.

10- الرّائد — جبران مسعود- مادّة (ك ن ز)- لبنان — بيروت — دار العلم للملايين — ط.07- 1992م- ص:675.

11- معجم اللّغة العربيّة المعاصرة — أحمد مختار عمر — مادّة (ك ن ز)- القاهرة- عالم الكتب — ط.01-2008م- مج:03- ص:1962.

12- المكنز الكبير- معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات- أحمد مختار عمر وآخرون — الرّياض — سطور- ط.01-2000م/1421ه- ص:1364.

13- المكنز /www.almaany.com /ar/dic/ar-arيوم:19-08-2015م في 14سا و14د.

14- المرجع نفسه.

15- معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب — مجدي وهبة — كامل المهندس — بيروت — مكتبة لبنان — ط.02-1984م-ص:311.

16- The cambidge encyclopedia of language- david crystal-2nd.ed-cambridge university press-1987-p.104.

17- ينظر: ماذا جرى لمعجم روجيه؟-عبد المجيد الماشطة — مجلّة اللّسان العربيّ- المغرب — الرّباط- المنظّمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم — مكتب تنسيق التّعريب — ع:25 — 1985م- ص:156.

18- البحث اللّغويّ عند العرب — أحمد مختار عمر — القاهرة — عالم الكتب — ط.06 — 1988م - ص:177.

19- الألفاظ الكتابيّة-عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني — مصر — مكتبة الميليجي بميدان الأزهر الشّريف — د.ط — 1931م — ص:36 ، و37.

20- جواهر الألفاظ — أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي — تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد — لبنان — بيروت — دار الكتب العلميّة — ط.01- 1405ه /1985م - ص:61.

21- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى — أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّوماني —تح: فتح الله صالح عليّ المصريّ — مصر — مكتبة الأسكندريّة — ط.01 — 1407ه /1987م — ص:82.

22 - Roget thesaurus of english words and phrases — roget peter mark — release date:01-04-2004 —sourse: bebook-p:04.

23- ينظر: المكنز العربيّ المعاصر – معجم المترادفات والمتجانسات للمؤلّفين والمترجمين والطّلّاب – محمود إسماعيل صيني- ناصف مصطفى عبد العزيز – مصطفى أحمد سليمان – لبنان – بيروت – مكتبة لبنان ناشرون – ط.01-1414هـ /1993م-الغلاف.

24- المرجع نفسه- ص:ن ، وس.

25- نجعة الرّائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد- إبراهيم اليازجي اللّبناني – بيروت –لبنان – مكتبة لبنان ط.03-1985م-ص:ز.

26- المرجع نفسه- ص:ح.

27- المكنز الكبير- معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات- أحمد مختار عمر وآخرون – ص:07.